

صادر 1973 م.

- 4 - بلاغة العرب في الأندلس ، أحمد ضيف، مصر : مطبعة مصر، 1924 م.
- 5 - تاريخ الآداب العربية، كارلو نالينو، القاهرة : دار المعارف، 1954 م.
- 6 - تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، د/حسان عباس، بيروت : دار الثقافة، ط6، 1981 م.
- 7 - تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، د/إحسان عباس، بيروت : دار الثقافة ط2، 1968 م.
- 8 - تاريخ الفكر الأندلسي، أخل جنتال بالنتيا، ترجمة د/حسين مؤمن، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1955 م.
- 9 - التشوف الى رجال التصوف، ابن الزيات، نشر أدولف فورز، الرباط : مطبوعات افريقية الشمالية الفنية، 1958 م.
- 10 - التطور والتجديد في الشعر الأموي، د/شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف ط3، 1965 م.
- 11 - التكملة لكتاب الصلة، ابن لآبار البلنسي، تحقيق إحسان عباس، بيروت : دار صادر، 1984 م.
- 12 - خريدة أذنتاش أذرنوش، تونس : الدار التونسية للنشر، 1971 م.
- 13 - ديوان ابن حمديس الصقلي، تحقيق د/إحسان عباس، بيروت : دار صادر للطباعة والنشر، 1960 م.
- 14 - ديوان ابن خفاجة الأندلسي، تحقيق د/مصطفى غازي، الاسكندرية : منشأة المعارف، 1960 م.
- 15 - ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق عفيفة محمد ديراني، بيروت : دار الثقافة 1964 م.
- 16 - ديوان أبي الصلت الداني، تحقيق محمد المرزوقي، تونس : دار الكتب المشرقية، 1974 م.
- 17 - ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق د/إحسان عباس، بيروت : دار الثقافة، 1963 م.
- 18 - الدين والمكلمة لمتابي الموصول والصلة، الأوسي المراكشي، ج4-5، تحقيق أحسان عباس، بيروت : دار الثقافة، 1965 م.
- 19 - الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، د/محمد مجيد السعيد، بغداد : دار الرشيد للنشر، 1980 م.
- 20 - في الأدب العباسي (الرؤية والفن)، د/عزالدين اسماعيل، بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1975 م.
- 21 - في تاريخ المغرب الأندلسي، د/أحمد مختار العبادي، الاسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية، د.ت.
- 22 - المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دقية الكلبي، تحقيق ابراهيم الابياري، ود/حامد عبدالمجيد، ود/أحمد بدوي، بيروت : دار العلم للجمع، 1955 م.
- 23 - مطمح الأنفس ومسرح للتأنس في ملح أهل الأندلس، ابن خاقان، تحقيق محمد علي شوايكية، بيروت : دار عمار، مؤسسة الرسالة ط1، 1963 م.
- 24 - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرئ التلمساني، تحقيق محمد محي الدين عبدالمجيد، بيروت : دار الكتاب العربي، 1949 م.
- 25 - الوافي بالوفيات، الصفدي، نشر هملوت ريتز، قسبادن : دار النشر فرانز شتاين، 1969 م.
- 26 - وفيات الاعيان وأبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت : دار الثقافة، 1972 م.

ابن حزم الأندلسي وأثره

د/علي معبد فرغلي
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر -
القاهرة - مصر -

من المسلم أن ابن حزم الأندلسي قد عاصر الانحلال السياسي وشاهد الفتنة ورأى
الفوضى والقلق التي أدت الى الانقسام والتفكك الذي مزق وحدة البلاد وأضعف شأن
المسلمين ومكن للاعداء من النهل منهم.

وقد أدى ذلك الى انهيار الحضارة الاسلامية التي بلغت منذ الفتح حتى هذه الآونة
شأوا عظيما برخائها الاقتصادي وفنها المعماري الذي يتمثل في بناء المادائن والمساجد
والقصور.

وبعد أن ساد نظام الاسلام كل نشاطات الحياة من عادات وتقاليده وهكذا سادت
الحضارة وتغلغت في نفوس العامة واصطبغ بها معظم الناس.

وبهذا فقد شاهد ابن حزم أسس حضارية تأصلت في المجتمع تنهار وتدهور وقد
انعكس ذلك كله على الاخلاق فآثر في كثير من نفوس أصحاب الرأي والعلماء الذين
شاهدوا الحكام يسترضون العامة ويؤذنونهم ويحرقون كتبهم فأدى ذلك الى هجرهم هذه
البلاد بعد أن كانت تتزهر بهم فسيطر الجمود الفكري على الأذهان وأصبح جهد العلماء
مقصورا على النقل من كتب الحديث لمعرفة الاحكام الفقهية حتى انهم اعتبروا الخروج عن
المذهب المالكي السائد عندهم خروجاً عن الجماعة وفي وسط هذا الجو نشأ ابن حزم
وتربى في قصر أبيه الوزير فلم تكن أسرته بعيدة عن السياسة التي شارك فيها هو وأبوه
ولكنه وجه كل اهتمامه نحو العلم والبحث وتقييد المعارف فلم تثنه كل هذه الاحداث عن
عزمه فقضى معظم حياته مشغولاً بالدراسة والبحث وقد مكنه من ذلك استعداده الخاص
وبما وهبه الله تعالى من الصفات كقوة الحافظة والصبر والمعانة على البحث مع وفرة
الغنى ويسار الحال.

فصل الفكر الإسلامي

فكان منه العالم المجتهد الذي خاض غمار الثقافة وعلى هذا فقد أجمع المؤرخون على أنه كان أعلم أهل الاندلس في عصره.

وقد اكتسب معارفه من طريقين أحدهما طريق السماع والتلقي عن الشيوخ وأئمة العلم بالدراسة والتلقين وقد روى في مؤلفاته أنه تلقى عن أكثر من عشرين شيخاً من أعلام العلماء الذين ذكرتهم كتب التراجم.

والأخرى طريق البحث والمطالعة في أمهات الكتب والمؤلفات كما تدلنا على ذلك رسالة ابن حزم في فضل علماء الاندلس ورجالها.

فكان لذلك من مفكري الاسلام الذين لهم نشاط بارز في فروع الثقافة المختلفة فقد قرأ كثيراً من مؤلفات المشرق والمغرب فهو يصف أمهات الكتب ويوازن بينها موازنة العالم الوثائق ويحكم عليها حكم الناقد السليم فهو قد درس تاريخ مختلف الشعوب وله المام واسع بحوادث الاندلس وله آراء علمية كثيرة قيمة فمناها حرصه على الاهتمام بالتعليم وتيسير التعلم ونشره وتشجيع الطلاب لأجل إحيائه والانتفاع به.

قال : "فإن الحظ لمن أثر العلم وعرف فضله أن يسهله جهده ويقربه بقدر طاقته وخففه ما أمكن بل لو أمكن يهتف به على قوارع طرق المارة ويدعو إليه في شوارع السابلة وينادي عليه في مجامع السيارة بل لو تيسر له أن يهب المال لطلابه ويجزي الأجور المقتنية ويعظم الإجمال عليه للباحثين عنه ويسنى مراتب أهله صابراً في ذلك على المشقة والأذى لكان ذلك حظاً جزيلاً وعملاً جيداً أو سعيًا مشكوراً كريماً وإحياءاً للعلم وإلاً درس وبلي وخفي إلا علة القسم ولم يبق منه إلا آثار لطيفة وأعلام دائرة" (1).

وقد عيب على ابن حزم رغم قوة جد له وبراهينه الحدة والعنف في المناقشة وخاصة مع

الفقهاء الذين لم يعرفوا الانحراف في تفكيرهم فقد كان معهم قاسي اللفظ عنيف العبارة كما وصفه ابن حيان بقوله : "كان يصك معارضه صك الجندل وينشقه انغلاق الخردل".

وقال ابن العريف الصوفي : "كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين وان كان ابن حزم له من قوة الاستدلال على آرائه ونظرياته ما يدل على رسوخه في العلم واكتساب المعرفة فما كان ينبغي أن يأتي بعد الاستدلال وقوة البرهنة بألفاظ نابية مثل كلمة السخف، والحق، والجهل، فانه بلا شك لو خلت كتبه منها لزادت تقديراً ولنالت إعجاب المعاصرين له بدلا من تغييرها إياهم.

ورغم هذا فقد كان أسلوبه في الكتابات العلمية مع تمسكه برأيه وعدم التنازل عنه مهما أدى به الامر، جيدا واضحا فهو يجعل اللغة أداة طيعة للتعبير عن أفكاره ومعانيه دون الإغراق في الخيال مما جعل أسلوبه العلمي واضحا وقد خلف لنا تراثا ضخما في الفلسفة والكلام والمنطق والأخلاق والتاريخ والسياسة والأدب والفقه والحديث والأحكام.

واعتنق ابن حزم مذهب الظاهري ووضحه وبين أصوله ودونها وكان من أقوى رجال المذهب ودافع عنه دفاعا قويا فوقف عند النص ولم يؤول النصوص بل يحملها على ظاهرها فلا يجيز التعليل ولا الاجتهاد بالرأي ولا القياس فوق مع القياسيين وأصحاب النظر العقلي في مصادمات عنيفة وكل ما ساقه من آراء وأدلة لا يشهد له على مدعاه بل بغضه له تخريج آخر ووجهة مخالفة لما قاله ابن حزم ونقصه يكون الخلاف فيه لفظيا ويظهر فيه التعصب من جانبه.

وعليه فقد ثبت لنا أن الوقوف عند النص في الغالب والكثير لا يتمشى مع منطق العقل ولهذا كانت حجج الظاهرية واهية أمام النقد وواضح فيها التعصب للمذهب.

أما عن النتائج التي توصلت إليها أراؤهم عند ابن حزم فانه يؤمن بفائدة الفلسفة والمنطق ويصل إلى دراستها لما لهما من فائدة ثم يشن حملة على خصوم الفلسفة ويثبت أن أراهم فيها ناتجة عن قصر نظرهم الناتج عن عدم تكلفهم مشقة النظر الصحيح والبحث الجاد وهو يرى أيضاً أن الفلسفة على حقيقتها متلاقية مع الدين ولهذا استطاع مناقشة الفلاسفة في كثير من المسائل الفلسفية فقد بين ان العالم حادث بأدلة منطقية محكمة استعمل فيها قدرته العقلية على الجدل والمنافشة وألزم القائلين بقديم العالم بطلان قولهم.

ولكنه خالف في استدلاله على حدوث العالم المتكلمين الذين اتخذوا الحدوث طريقاً لهم.
وقال هو بالنهاية فقد اتخذ نهاية الاشياء دليلاً ولعله اطلع على رأي الكندي في نهاية
الجرم.

وفي آرائه في النفس الانسانية فقد أطنب في وصف الجسمية لها وكان تعريفه لها لا
يخرج عن تعريف الجمهور من العلماء ولكنه استطاع أن يرد على من أنكرها ويثبت
وجودها وأنها غير الجسد ومن طبيعة مخالفة له وقد حلت فيه وشغلت به وتدبر أموره
وتفارقته عند الموت.

وقد عرض لنا كثيراً من الآراء بين فيها مكان النفس وطبيعتها وأنها هي حاسة لا
محسوسة ولسيت مركبة وأنها محتاجة إلى من يمسكها لآداء وظيفتها وذلك شأن الخالق
جل وعلا ومعنى امساكها حفظها كما أن الجلد يمسك ويحفظ الدم في الجسم.

ويتبين لنا من خلال نقد ابن حزم للآراء في النفس أن ردوده على الاعتراضات
واجاباته التي ساقها أنها أوضحت كثيراً من جوانب النفس الانسانية وصفاتها وفهم
حقيقتها وإن كانت هذه الاعتراضات واجاباتها خالية من العمق العلمي لما فيها من
البساطة والسذاجة أحياناً لأن أصحابها في كثير منها لم يفرقوا بين ما تتصف به
الاجسام الارضية والاجسام العلوية.

وقد أثبت ابن حزم أن النفس والروح اسمان مترادفان لمعنى واحد.
وعن نظرية الجزء الذي لا يتجزأ قدم ابن حزم في أدلته وردوده نقاشاً طويلاً تخلص
الى أنه ينفيها فهي عنده لا وجود لها.

وهو بهذا الرأي يتفق مع المشائين وأصحاب المنطق وهم جميعاً ينفون الجوهر الفرد
بقولهم بمذهب الهولي والصورة ولكن الذي يرى ذلك أن العالم قديم وابن حزم قد خالفهم
وقال بحدوث العالم رغم نفيه لنظرية الجوهر الفرد وبالنظر الى الموضوع تبين أن ابن
حزم قد وقع في التناقض وأتى بأدلة ثبت منها خلاف ما ادعاه كما لجأ في الاستدلال الى
أمور ذهنية لا واقع لها والغرض خلاف ذلك.

وثبت أن نظرية الجوهر الفرد جاءت عند المتكلمين رداً على مذهب الهولي والصورة
أكثر من أنها اتخذت دليلاً برهانياً.

وأما فهمه لنصوص الموهمة التشبيه فقد كان فهما صحيحا لأنه يخرج الألفاظ التي يتوهم بعض العلماء فيها التشبيه تخريجا لغويا يؤديه ظاهر اللفظ لأنه يعتقد أن المجاز المشهور لا يعد تأويلا ما دام يجرى مثله في اللغة الفصحى ويكون واضح الدلالة بين المقصود من غير عمل عقلي يخرج الكلام عن ظاهره الذي يفهمه العربي ببديهته من غير إعمال فكر ومحاولة عقلية ولكن مع هذا فقد وقع في التأويل عند نقل المعاني الظاهرة لبعض الألفاظ الى معنى يناسب التقديس.

أما ما وضع من رأي ابن حزم في الصفات فانه مخالف لجميع آراء العلماء فهو يمنع اتصاف الله سبحانه وتعالى بصفات الكمال التي أثبتتها أهل السنة ويمنع اطلاق لفظ الصفة على الله بحجة أنه لم يرد به نص ولا قال به إجماع بل ويرى أن الاجماع منعقد على تركه وأيضا حتى الأسماء الحسنى التي هي احدى الأدلة على اتصاف الله تعالى بصفات الكمال فإن كل اسم منها مشتمل على معنى زائد على الذات هذا المعنى وصف قائم بذاته تعالى وإلا كانت أسماء الله جامدة كالأعلام المحضة وقد تصورها ابن حزم هكذا الفاظا مترادفة كلها أمراً واحداً لا فرق بين مدلولها في المعنى.

وهذا مما يخالف العقل والفطرة السليمة بل أن تجريد الذات عن الصفات كما يرى ابن حزم أمراً لا حقيقة له لأنه يؤدي الى التعطيل.

وبالنسبة لأفعال العباد فقد ثبت أن جهد ابن حزم في توضيح الاستطاعة التي يقع بهل العقل يتحدد في التوفيق بين الآراء وابن حزم جعل الاستطاعة قسمين :

قسم قبل العقل وهو صحة الجوارح وارتفاع الموانع وإرادة الشخص المستطيع وكون كل ذلك فيه يجعل الفعل ممكناً ومتوهماً ولأجل ذلك كان مكلفاً مأموراً وهذه هي القوة الواردة من العبد عند ابن حزم وهو بعينه رأى المعتزلة في الاستطاعة وكونها قبل العقل موجودة في الانسان ولأجل ذلك جاء رأيهم بأن أفعال العباد محدثة فعلها فاعلوها.

والقسم الثاني هو ما يكون مع الفعل لا قبله وهو ما يعبر عنه بالقوة التي ترد من الله وهي خلق الله للفعل في فاعله فيكون الفعل ويوجد واجبا ولا بد وهذا هو أيضا رأى القائلين بأن الاستطاعة لا تكون الا مع الفعل وعليه فان الافعال مخلوقة لله تعالى.

وعلى هذا فان ابن حزم قد ربط بين ما قاله المعتزلة وما قاله الا شعارة ووفق بين الرأيين وقد جعل كلا منهما ضرورياً ولازماً لوقوع الفعل.

وأيضاً في رده على ما اعترض به المعتزلة من كون الأفعال مخلوقة لله تلمح أن ابن حزم يركز على هدم أصول مذهب الاعتزال فيقرر أن كل ما فعله الله من تكليف بما لا يطاق وتعذيبه عليه وخلق الكفر والظلم وغضبه منه وسخطه عليه كل ذلك من الله عدل وحكمة وحق وهذا هدم لما قاله المعتزلة من أن الله لا يقدر على فعل الشر ولا يخلقه.

وفي مناقشة ابن حزم لعقائد اليهود تبين أنه ألزمهم الحجة بأن طريقة الله في تصديق رسله واحدة لأن التصديق بالنبوة راجع لظهور الآيات وظهور الآيات حق في نفسه صدقه الناس أم كذبوه ولا يزيد الحق درجة في نفسه في أنه حق إجماع الناس كلهم على تصديق، كما لا يزيد الباطل في أنه باطل تكذيب الناس كلهم له.

وقد أقام ابن حزم الحجة على بطلان عقيدة اليهود وهي تكذيب الأنبياء بعد موسى واعتقادهم عدم جواز النسخ أو عدم وقوعه بما حدث بينهم من إختلاف في التصديق بأنبيائهم لأنه التناقض أن ينكروا النسخ أو يقولوا بعدم وقوعه ثم يؤمنوا برسول وأنبياء بعد موسى.

وأيضاً فإن اتجاه اليهود إلى التشبيه والتجسيم في عقائدهم كان واضحاً في مراحل تاريخهم وتعد كثرة الأنبياء فيهم دليلاً على تجدد الشرك فيهم وبالتالي إلى تجدد الحاجة إلى الأنبياء الذين يجددون الدعوة إلى التوحيد.

وفي مناقشة ابن حزم لعقائد النصرانية.

فهو ينحى باللائمة على عقول المسيحيين الذين قبلوا هذا الزيف الباطل الذي إذا أُعمل فيه العقل والفكر لكان شيئاً باطلاً بالبداهة أما العقول- المسيحية التي تمسكت به فقد وصفها ابن حزم في عبارة وجيزة كمن يصدق بالعنقاء وبكل ما لا يمكن فقد عد ابن حزم أوجه الاختلاف والتضارب بين روايات الأناجيل واستنتج أنها كذب لأن مثل هذا الاختلاف في كل قصة من قصص عقائدهم في مقام واحد كذب لا شك فيه ولا يمكن أن يقع من معصومين فصح أنهم كذابون لا يتحرون الصدق فيما حدثوا به وما كتبوه.

فكل هذا برهان واضح على أن أناجيلهم كتب مفتريات من عمل كذابين وبهذا فقد صح أنهم ليسوا على دين المسيح ولا على ما مضى عليه تلاميذه الحقيقيون بل هم على دين آخر.

المواش

١ - التقريب لحد المنطق ابن حزم.